الحرب الاستعمارية الفرنسية الشاملة من أجل تحقيق المشروع الاستيطاني في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.

أ.د محمد دادة*

منذ غزو الجيش الفرنسي للجزائر لم يتردد قادته في اعتماد إستراتيجية الحرب الشاملة في تعاملهم مع الشعب الجزائري. وكان الهدف المنشود من وراء هذه الإستراتيجية الإسراع في إنشاء المشروع الاستيطاني في الجزائر. ومنذ البداية عملت الدولة الفرنسية على استخدام وسائل فعالة وممنهجة لتحقيق هذا الهدف عندما أدركت أن عملية الاحتلال ليست بالأمر السهل وبخاصة أنها اكتشفت في الميدان أن الجزائريين كانوا غير مستعدين للخضوع للمحتلين. ولهذا كان اللجوء إلى التقتيل الجماعي والتدمير والتخريب أمرا ضروريي لتحقيق جوهر المشروع الاستيطاني وهو طرد السكان المحليين والاستحواذ على الأرض.

إن الأعمال الشنيعة التي اقترفها جنرالات فرنسا وجنود الاحتلال خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر ضد الجماعات السكانية المحلية، أصبحت اليوم معروفة لدى المؤرخين والكتاب. غير أنه من الواجب تذكيرها، ولا سيما الأعمال الإجرامية المنظمة التي ارتكبت قبل عهد بيجو وبعده أو في زمان حكمه، والتي تميزت من غيرها نظرا لعظم الوسائل التي كانت بيده، وسائل كانت واسعة المفعول في القضاء على اقتصاد الجزائر بصفة لا تسمح لهذا البلد بالنهوض قبل عشرات من السنوات، ولا بالنهوض على الإطلاق في بعض مناطق الاستيطان. ومما لا شك فيه، أن التوازن السكاني قد اختل إما بسبب المجازر المنظمة وإما بسبب الجذب والمجاعات التي عقبتها.

كانت ضرورة المقاومة جعلت القادة الفرنسيون يفكرون في الإبادة، التي أصبحت في اعتقادهم هي المخرج الوحيد لربح الوقت، وقد لاحظ باسي (Passy) مقرر ميزانية الحرب سنة 1835: "أن في إفريقية هناك عائق للاستعمار يتمثل في أمر لا يمكن لأحد إزالته ألا وهو وجود قوم من الأهالي متعودين على الحرب لا يتحملون الظلم وهم مختلفون كثيرا عن

* - أستاذ التعليم العالي في التاريخ الحديث والمعاصر – قسم التاريخ – جامعة وهران السانية.

الأوروبيين بعقائدهم وبماضيهم مخالفة لا تسمح لهم بربط علاقات طيبة مع أشخاص لا يرون فيهم إلا أعداءهم، جاؤوا لطردهم من أراضيهم التي تعد ملكا لهم"[1]

وفي هذا الإطار نفسه، يؤكد "دوصاد" (Desade) في 19 ماي 1835، وهو يقترح طريقة في التوصل إلى سلب أراضي الجزائريين قائلا: "بما أن الأراضي غير متوافرة، فيجب إبادة الأهالي قبل سلب أراضيهم، فمنذ خمس سنوات لم نستصلح من الأراضي سوى 2800 هكتار".[2]

ويبدو أن استمرار المقاومة الريفية، شكل عائقا، أمام السلطات الاستعمارية التي كانت تريد المزيد من الأراضي فكان إرسال "بيجو" إلى الجزائر في ديسمبر 1840، دليلا على إصرار الحكومة الفرنسية على تسريع تنفيذ مشروعها الاستيطاني، وهو الذي كان يعد الغزو طريقة حربية مشروعة وضرورية وذلك بتخريب القوى التي يقطنها السكان تخريبا تاما، حيث يقول: "يجب أن نقوم في إفريقية بحملة كبيرة شبيهة بما كان يفعل الأفرنج وما كان يفعل القوط...".
وفي الواقع أن "بيجو" انتقد الوسائل والأساليب التي طبقت سابقا، واعتبرها أساليب ضعيفة ضد السكان. ونشير إلى ما قام به "دميشال" قبل أن يبرم معاهدة عام 1834، حيث كان يعتبر أن اختطاف النساء وسلب المواشي من قبيلة الغرابة في سهل ارزيو مفخرة.[3]

وفي أثناء الحرب التي قامت من جديد بعد نقض المعاهدة دخل كلوزيل مدينة معسكر ونهب كل ما فيها، وأمر بتخريبها وتشريد سكانها في شهر ديسمبر 1835، يقول أزان بخصوص هذه الحادثة: "ففي المدة القصيرة التي قضاها في هذه المدينة، قام بتدمير كل المؤسسات العسكرية التي كلفت الأمير جهودا كبيرة: مخازن الكبريت والبارود ومعمل الأسلحة وذخائر الحبوب الوافرة (...) وصباح يوم 9 ديسمبر لما انصرفت القوات العسكرية، كانت النيران تلتهم أحياء المدينة المختلفة".[4]

كان حكم "بيجو" يمثل الصورة القاسية، حيث تضمن مخططه عدة أساليب، من بينها الإضرار بالسكان في أرزاقهم كالمحاصيل، والمزارع، والمواشي والأغنام والمطامير. وهكذا، ففي شهر مارس 1839، عندما كان عائدا من وهران وخارقا مواطن بني عامر والمسالمة، قام بنهب 2500 رأس من الغنم و600 رأس من البقر كانت لقبيلة حراكتة لا لسبب أنه انتقم لمقتل أحد الشيوخ الموالين للفرنسيين.[5]

ولما استأنفت الحرب من جديد، قام فالي (Valee) في 12 و13 مارس 1840، بتخريب ونهب كل مواطن الجهة الغربية للمتيجة. وصاحب ذلك معاقبة كل القبائل الموجودة في منطقة البليدة وموازية وشرشال. وفي هذه الأثناء، كان "لاموريسيير"، يكتسح من جديد أراضي بني عامر والغرابة وبني يعقوب وأولاد خلفة في ناحية وهران، كما أن قبيلة ريغة في جنوب سطيف تعرضت للسلب والتقتيل لمجرد أنها أعلنت انضمامها إلى الأمير عبد القادر.(6)

وتعزز الموقف الرسمي الفرنسي المتشدد، بموقف القادة العسكريين المتعطشين للجرائم التي تعودوا عليها في الجزائر. ففي رسالة كتبها "سانت أرنو" (Saint-Arnaund) في ماي 1842، يفتخر فيها بكل وقاحة عن الأعمال الوحشية التي قام بها في ناحية وهران، وأنه سيبقى في هذه المنطقة حتى يخرب جميع القرى والمدن ويشرد سكانها.(7)

وفي هذا الوقت كان منتانياك (Montagnac) يفتخر بما قام به لاموريسيير من مذابح رهيبة في حق السكان العزل ، وكان هو الأخر قد اتجه إلى سياسة التدمير حين دمر محيط السكان، وشرد الأطفال والنساء، وسلب الأغنام(8) وكان هو نفسه يتحسر أحيانا من نتائج أعماله التي قام بها بسعيدة في 19 نوفمبر 1841، حيث يقول: "إن هذه الأعمال تبعث في قلوبنا الحزن والأسى عندما نفكر في الوسائل الحقيرة التي كان عبد القادر ذلك الرجل العظيم يستعمله في تشييد مثل تلك المؤسسات".(9)

ولكن هذا لم يمنعه بعد سنة من تطبيق الأساليب نفسها في الإبادة. ففي 17 جانفي عام 1842 قام بنهب الحبوب والمواشي في ناحية معسكر، وبخطف الأطفال والنساء أيضا. ونجد الأساليب نفسها عند الجنرال بيدو (Bedeau)في نواحي الشلف، حيث استخدم هذا القائد العسكري العنف والتقتيل ضد قبائل المنطقة واختطف الأطفال والنساء، وأحرق المحاصيل، بالإضافة إلى سلبه المواشي من السكان.(10)

وفي هذه الأثناء، كان "سانت أرنو" يكتسح قبيلة بني مناصر في ناحية مليانة، ويتبجح بأنه كان يدمر ويخرب المحاصيل، والأشجار المثمرة دون إطلاق النار إلا نادرا، حيث يقول: "لقد كانت حملتنا تدميرا منظما أكثر منها عملا عسكريا. ونحن اليوم في وسط جبال مليانة، لا نطلق إلا قليلا من الرصاص، وإنما نمضي وقتنا في حرق جميع القرى والأكواخ، وأن العدو يفر أمامنا سائقا قطعان غنمه ....."(11)

ويضيف، وهو يؤكد على وحشيته المفرطة قائلا: "إن بلاد بني مناصر رائعة جدا، لقد أحرقناها كلها، آه أيتها الحرب كم من نساء وأطفال اعتصموا بجبال الأطلس المغطاة بالثلج فماتوا هناك من الجوع والبرد وليس في جيشنا سوى خمسة من القتلى وأربعين من الجرحى..."[12]

وكان إصرار السكان على التمسك بأراضيهم، يشكل عائقا أمام السلطات الاستعمارية التي كانت تريد المزيد من الأراضي. وكان الضباط الكبار يتسابقون للوصول إلى أهدافهم المقررة، وذلك باستعمال مكثف وأعمى لعملية الإبادة الجماعية للسكان. ويكفي للتدليل على ما نقوله، إننا نورد فيما يأتي اعترافات الجنرال " كافينياك" (Cavaignac) حول ما فعله لإبادة قبيلة بني صبيح سنة 1844، حيث يقول: "لقد تولى الجنود جمع كميات هائلة من أنواع الحطب ثم كدسوها عند مدخل المغارة التي حملنا قبيلة أولاد صبيح على اللجوء إليها بكل ما تملك من متاع وحيوانات وفي المساء أضرمت النيران وأخذت كل التدابير كي لا يتمكن أي كان من الخروج منها حيا".[13]

وبالنسبة لبقايا قبيلة بني صبيح الذين نجوا من فرن كافينياك بسبب وجودهم خارج أراضي القبيلة، فإن العقيد كانروبار (Canrobert) لم يدخر أي جهد للبحث عنهم، ولما تنسى له جمعهم بعد حوالي عام من حرق أهاليهم، قادهم مقيدين إلى مغارة ثانية ثم أمر ببناء جميع مخارجها ليجعل منها على حد تعبيره "مقبرة واسعة لإيواء جثث أولائك المتزمتين. ولم يترل أحد إلى حل تلك المغارة، ولا يعرف أحد غيري أنها تضم تحت ركامها خمسمائة من الأشرار الذين لن يقوموا بعد ذلك بذبح الفرنسيين"[14]. وفي تعليقه على هذه الجريمة قال "برارد": "لقد ظلت تلك المقبرة مغلقة وبداخلها جثث رجال ونساء وأطفال وقطعان تتآكل أو يأكلها التراب..."[15].

وفي الحقيقة أن عملية القمع والإبادة الجماعية والتدمير، لم يكن سببها المقاومة الريفية، بقدر ما هي رغبة "مضمرة" في الفعل الاستعماري، لأنه لا يمكن قيام الكيان الاستعماري الاستيطاني بمعزل عن هذه الأعمال الوحشية والبربرية. فالاستيلاء على الأرض وإقامة القرى الاستيطانية، لا يمكن أن يتحقق بدون تعميم الإبادة المستمرة، لأن إضعاف السكان ضعفا مطلقا يساوي بالدرجة الأولى تقوية المشروع الاستيطاني في الجزائر.

ويمكننا أن نقيم الدليل على ذلك، أن هذه الأساليب الوحشية ازدادت وحشية وبشدة فائقة بعد ضعف مقاومة الأمير عبد القادر. ومثال على ذلك القمع الوحشي الذي صاحب القضاء على ثورة بومعزة، والمجزرة الرهيبة التي قام بها "بيليسي" (Pelissier)، ضد سكان أولاد رياح بالظهرة في شهر جوان من عام 1845، والمعروفة بمذبحة غار الفراشيش، ذلك أن جماعة منهم وعددهم أكثر من حوالي ألف شخص اعتصموا في المغارات الجبلية فرارا من التنكيل والتقتيل ورفضوا الاستسلام، فقام "بيليسي" الذي كان يلاحقهم باستعمال النيران في مداخل المغارات حتى يمنعهم من الخروج والإفلات، فماتوا جميعا من جراء الاحتراق بالنيران، والاختناق بالدخان.[16]

وقد بين ذلك الأسلوب "توكفيل" في تقرير له سنة 1841، حيث يقول: " قلت ذلك مرارا، وأكرره مرة أخرى، إنه ما دمنا لم نشكل تجمعا بشريا أوروبيا في الجزائر، فلا يمكننا أن نمكث ونستقر في شمال إفريقية ولذا يجب أن يسير الاستعمار والاستيطان جنبا إلى جنب، إذا أمكن ذلك".[17]

ويضيف الكاتب نفسه، وهو يتحدث عن الوسائل التي يمكن استخدامها في إخضاع القبائل الجزائرية، فيقول: "يجب أن ندمر تجارهم، وأن نمنع عنهم كل المبادلات التجارية، وبعد ذلك تأتي الوسيلة الثانية وهي تخريب البلاد. وفي اعتقادنا أن الحرب ضرورية في تدمير البلاد سواء بإتلاف المحاصيل في أوقات الحصاد، أو في كل الأوقات التي تتطلب الغارات المباغتة والسريعة من أجل اختطاف العباد ونهب قطعان الغنم والبقر".[18]

وهكذا، يظهر جليا أن خطاب "توكفيل" كان يتماشى مع خطاب بناة الاستعمار، فهو في الختام يطمئن قادة فرنسا على أن تلك الأساليب والمغارات العسكرية تعد مفخرة للدولة الفرنسية، وبتعبيره، وهو ينصح قادة العنف والتقتيل: "ألا تشغلوا بأمجادكم الشخصية، وأن يؤدي كل واحد منكم واجبه بإخلاص لبلاده ووطنه(...)إن فرصة الظهور لكل واحد منكم تكمن في القيام بأعمال وحشية ودموية".[19]

كان تشجيع تلك الأعمال الشنيعة وسيلة لقادة الاحتلال أن يشركوا الجنود في تلك الجرائم، وهذا ما وقع أثناء الحصار الذي ضرب على واحة الزعاطشة في شهر نوفمبر 1849، حيث أعطيت التعليمات والأوامر للجند بإبادة كل الواحة، ومن قتل جميع الأحياء من أطفال

ونساء وشيوخ وقطع كل الأشجار بما فيها النخيل مصدر رزق السكان، وتخريب كل المنازل وحرقها إلى غير ذلك من المناظر التي يندى لها الجبين ويتنزه القلم عن ذكرها.[20]

وهكذا، وبعد أن تأكد القائد هيربيون (Herbillon) أنه لم يبق في الزعاطشة حي من البشر ولا حية من الشجر، أقام على باب معسكره مقصلة رفع عليها ثلاث رؤوس: رأس الشيخ بوزيان ورأس ابنه الشاب ورأس شيخ أخر طالما حارب الفرنسيين منذ عام 1833، وهو الحاج موسى الدرقاوي المعروف ببو حمارة، وقد افتخر بول أزان بهذه الأعمال الوحشية التي في نظره قد أنتجت "التهدئة" في المنطقة.[21]

ويتحدث شهود عيان عن فضاعة الجنود الفرنسيين، حيث يذكر أبو القاسم سعد الله الذي درس هذه الفترة، أن الجنود كانوا يعبثون بالضعفاء وبكل من وجدوا فيه بقية روح. فهذه امرأة طريحة عبثوا بقطع حلمة ثديها وهي لا تطلب سوى الإجهاض عليها لتخليصها من العذاب، وهذا طفل حملوه من رجليه ثم ضربوا رأسه على الحائط ليهشمه وغيرها من الأحداث الشنيعة التي لا يمكن وصفها.[22]

أما مناطق الأوراس، فقد لقيت مصيرا كمصير الزعاطشة منذ مطلع الخمسينيات، وعلى يد كانروبار (Canrobert) الذي اتبع أسلوب الأرض المحروقة، حيث أحرق عشرات القرى وقطع آلاف الأشجار من التين والزيتون، أملا في الوصول إلى نتيجة إيجابية، وهي إرغام السكان على الخضوع للسيطرة الفرنسية. وكان ذلك درسا للتهدئة التي أعطاها "كانروبار" إلى سكان الأوراس والتي استحق عليه رتبة جنرال.[23]

وكان شعار الجند العنف والقسوة والتقتيل، والتنكيل بالسكان، فقد ذكر "ديريسون" (Dherisson) في أثناء احتلال بلاد القبائل سنة 1857، أن أذان السكان كانت تساوي 10 فرنكات للزوج، وكانت نساؤهم فريسات مثل الرجال سهلة المنال، وغير ذلك من الأعمال الفضيعة.[24]

ولا شك أن من أغراض تلك الإبادات والعمليات التخريبية، الانتفاع المالي الذي تزده العقوبات الجماعية. يقول "منتانياك": "إن جميع السكان الذين يرفضون شروطنا يعاقبون باكتساح أراضيهم ونهب كل ممتلكاتهم، ويتعرضون للقتل بدون تمييز بين الذكور والإناث، وبين الصغار والكبار".[25]

ويضيف مبينا المنافع المالية الناتجة عن الحملات العسكرية، فيقول: "ماذا سنفعل النساء اللواتي نقوم باختطافهن؟ نحتفظ ببعضهن كرهائن ونستبدل الأخريات بالخيل، وما تبقى منهن نبيعه بالمزايدة مثل الدواب".[26]

إن هذه العمليات الإجرامية والتدميرية تطلبت جهودا عسكرية عظيمة وأموالا طائلة. ولكن كل هذا كان على حساب الجزائريين الذين صودرت أملاكهم ونهبت ثرواتهم. وهذا ما توضحه رسالة نابليون الثالث إلى ماكماهون (Mac-Mahon) في سنة 1865، حيث يقول: "لقد استحوذت فرنسا على الجزائر منذ خمس وثلاثين سنة: فمن الضروري أن تكون نتيجة احتلالها لهذا البلد ذات فائدة من حيث مضاعفة قوتها من الآن فصاعدا، ولا سببا لضعفها".[27]

كانت فرنسا في حاجة إلى المزيد من الجنود قصد تنفيذ مخططاتها الاستعمارية التوسعية في الجزائر، ولهذا لم تكتف بقوتها العددية، بل راحت تستعين بالمجندين أو المحاربين من مختلف الجنسيات الأوروبية، وكذلك بالمجندين الجزائريين لتأسيس الجيش "الإفريقي".[28]

كان عدد هؤلاء المجندين الجزائريين في سنة 1844 حوالي 9.654 مقاتلا من المجموع العام الذي بلغ 80.862 جنديا، وفي سنة 1859 بلغ عددهم 13.259 من مجموع 83.870 جنديا (أي بنسبة 16%). أما الجيش الفرنسي، فكان عدده بالتقريب 100 ألف جندي فيما بين 1846 و1847، وأكثر من 80 ألف جندي في سنتي 1857 و1864، وأكثر من 70 ألف في أواخر سنة1870.[29]

وهكذا يتضح من خلال دراسة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، أن أغلب رجال السياسة كانوا على وفاق تام حول مشروع الاحتلال الاستيطاني، وكان ذلك واضحا في ممارستهم الاستعمارية وكتاباتهم وتدخلاتهم، لأن مسألة الاستيلاء على أرض الجزائر، كانت لب السياسة الفرنسية تجاه شمال إفريقيا آنذاك، فالجزائر بموقعها الاستراتيجي وإمكاناتها الاقتصادية، كانت تراود مشاعر أصحاب رؤوس الأموال والأوساط التجارية، ولاسيما في عهد نابليون الثالث(1852-1870) الذي أكد على نوعية الاستيطان في الجزائر الذي يجب أن تدعمه الحكومة الفرنسية اتجاه الجزائر، فيقول:"ستستمر الحكومة الفرنسية في تشجيع رؤوس الأموال الأوروبية وبالمقابل سنتجنب أن تكون مجرد مقاول للهجرة والاستيطان، كما سنخفض من مساندتنا للأشخاص ضعاف الثروة، الذين لا تجذبهم سوى الامتيازات المجانية... [30]

ومن هنا نلاحظ أن الإمبراطور أعطى لبرنامجه مضمونا اقتصاديا، عندما أثار موضوعا خاصا (بالليبرالية الاقتصادية)، التي تعتمد على دور الشركات الرأسمالية في عملية الاستثمار الاقتصادي. وفي رسالته إلى المارشال (ماكماهون) Mac-Mahon يوم 20جوان 1865[31]، كشف عن سياسته الاستيطانية، وبعد أن انتقد فيها أمور كثيرة، عين العوامل والأسباب التي أدت إلى تلكأ الاستيطان وعدم ازدهاره بالرغم من الإمكانات السياسية والعسكرية التي وفرتها السلطات الفرنسية لإخضاع السكان وإقامة المراكز الاستيطانية في أرض الفلاحين الجزائريين. وانتهى الإمبراطور إلى النتيجة، وهي أن (لا تتحمل الحكومة الفرنسية على مستوى التعهدات، كل هذه الأعباء، وتعرض مصالحها للخطر، ولدى يجب توحيد جهود الاستعمار في المناطق الاستيطانية، والعمل بكل الوسائل لإعادة هذه المناطق للاستعمار والاستيطان[32]

وأخيرا، فإن الإمبراطور رسم مخطط استيطاني من خلال تقويم التجارب الاستيطانية السابقة وذلك من خلال تشجيع كبرى الشركات الرأسمالية في الجزائر واستخدام مختلف عناصر السكان في الاستغلال الرأسمالي. وعلى الرغم من تراجع الاستيطان الرسمي المدعم بأموال الدولة، فإن الاستيطان الحر نجح إلى حد كبير في ما بين 1864-1869. ففي الفترة الممتدة من 1861 إلى 1870، أنشأت الإدارة الاستعمارية 21 مركزا استيطانيا، وسلمت 116000 هكتار، وأسكنت 4580 مستوطنا جديدا. وزيادة على ذلك، فإن الإدارة مكنت أصحاب رؤوس الأموال من امتلاك 160000 هكتار من غابات السنديان بشروط مجزية[33]. وخلال هذه الفترة ارتفع عدد الفرنسيين من 103332 إلى 129998 نسمة، أي بزيادة 25%، بينما ارتفع عدد الأوروبيين من 76330 إلى 115516 نسمة أي بزيادة 51.5%، في حين أن الاستيطان الريفي قد خسر نسبة1%[34].

كانت هذه التجارب الاستيطانية التي طبقتها فرنسا في الجزائر خلال القرن التاسع عشر تهدف إلى انتزاع أراضي الجزائريين ومنحها للمهاجرين الأوروبيين. وقد رأينا فيما سبق الأساليب الوحشية التي طبقتها الإدارة الاستعمارية في تحضير عملية إقامة المهاجرين الأوربيين في أرض الجزائر. ولهذا تعد هذه العملية جوهر المشروع الاستيطاني في حركية تحقيقه على مستوى إقامة المراكز الاستيطانية في مختلف مناطق البلاد. وتعبر تجربة الإمبراطورية الثانية عن مدى تقدم الاستعمار وتجدد ضروراته وتغير العوامل الفاعلة في مفاهيمه وأدواته. وهذا لم يضعف من دعوة الإمبراطورية إلى إلحاق الجزائر، وتوفير البنى الاقتصادية لترسيخ الوجود

الاستيطاني الأوروبي في الجزائر، وذلك بفتح الباب أمام رأس المال الأوروبي وتنشيط حركة الهجرة من أوروبا.

كان الهدف من هذه السياسة هو الحصول على احتياطات عقارية مهمة لصالح الاستيطان. يقول "جيرو" Girault في معرض حديثه عن نتائج الحرب الشاملة الاستعمارية وما رافقتها من اغتصاب أراضي الجزائريين مايلي: "إن الدولة الفرنسية لم تكن سخية، إذ أنها لم تعط الشيء الكثير للجزائريين، فقد استخدمت العنف والقانون، وطبقت بكل صرامة نظرية التحديد والتقسيم للأراضي، فكانت النتيجة انتشار البؤس والقفر في أوساط المجتمع المحلي، في الوقت نفسه كان المستوطنون ينعمون بخيرات الجزائر. ومما لاشك فيه، أن هذا الوضع سينتج عنه ثورات السكان..."(35).

يتبين من فحوى ما سبق، أن فرنسا حاولت أن تهيئ الجو المناسب لإقامة مشروعها الاستيطاني في الجزائر، ذلك باستخدامها وسائل عملية قاسية ضد الجزائريين بقصد إخضاعهم وإنهاكهم وإبطال مقاومتهم. وكانت هذه الوسائل ضمن المخططات الفرنسية التي مكنت من خلالها جيش الاحتلال وبالذات القادة العسكريين والمرتزقة الأوروبيين من السيطرة على الشعب الجزائري ومن الاستيطان في أراضي من كانوا يسمونهم بالأهالي. وقد انتهج هؤلاء الغزاة كل أنواع القهر والإبعاد والتهجير والسجن والتعذيب والتقتيل والنهب. ولهذا، فان هذه الحقيقة جعلت من التوسع الاستعماري الاستيطاني ظاهرة تاريخية فريدة من نوعها نظرا لسلبية النتائج والتأثير العميق الذي أحدثته في مستقبل تطور المجتمع الجزائري.

الهوامـــش:

(1) cité par Prenant (A) ; Nouschi ; (A) Lacoste (Y). l'Algérie passé et présent ; Paris ;Ed ;sociales 1960 ; P264
(2) Ibid.
(3) P.AZAN ; l'émir Abed el Kader (1808-1883) ; du fanatisme musulman au patriotisme Français ;Paris ;Hachette ;1925 ;18
(4)Ibid. ;P64
(5)Ibid. ;P86
(6) Prenant (A) ; Nouschi ; (A) Lacoste (Y) ;OP ;cit ;P302
(7)Saint-Arnaud(Maréchal de) ;Lettres du Maréchal de Saint-Arnaud (1832-1854) ;Paris ;Lèvy ;1855 ;P313
(8) P.AZAN; OP ;cit ;P17
(9) IBID ;P18
(10) Saint-Arnaud ;OP ;cit ; T1 ;P 379

(11)IBID ; P390
(12)IBID ;PP391-392
(13)Berard(P-L) :Les deux villes de tenes et boumaza ;Alger ;Bastide 1864 ;P166
(14)IBID ;P166
(15)IBID ;PP166-167
(16)Derrecagaix; Le general Pelissier et les asphyxies des grottes du Dahra ;in RA 1911 ;PP456-460
(17)Tocqueville(A .De) travail sur l'Algérie
(1841) ;Bruxelles ;complexe ;1988 ;P94
(18)IBID ;PP62-63
(19)IBID ;P93
(20) P.AZAN ;Conquête et pacification de l'Algérie; Paris :Lib de France ;1931 ;PP410-411
(21)IBID ;P211
(22)أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية.المؤسسة الوطنية للكتاب.1992.ص 356
(23)CH A:Julien;Histoire de l'Algérie contemporaine-la conquête et les débuts de la colonisation ; Paris ;PUF ;1964 ;PP385-387
(24)Herisson (le conte Maurice) ;La chasse a L'homme Guerre d'Algérie ;Paris ;Ollendorf ;1891 ;PP349-350
(25)Montagnac (colonel de) :lettre d'un soldat ;neuf années de compagne en Afrique ; Paris ;1885 ;P334
(26)IBID ;P335
(27)Napoleon ÌÌÌ;letter au duc de Magenta (Mac-Mahon);20 JUIN 1865;Paris ; impr impèriale 1865 ;PP4-5
(28) لمزيد من المعلومات حول الجيش الافريقي في الجزائر أنظر حميدة عميراوي .جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر. مجلة سيرتا. العدد 12. 1999.ص ص 55-60
(29) Prenant (A) ; Nouschi ; (A) Lacoste (Y) ;OP ;cit ;P327

(30) Lettre de l'empereur au Marechal pélissier du 06 février 1863.
(31)Lettre sur la politique de la France en Algérie, adressé par l'empereur au maréchal de Mac-Mahon, pp3-4.
(32) Ibid.
(33)CH.R.AGERON : histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, PUF, 1974 (collection que –sais-je ?) p36.
(34)De Peyrimhoff : enquête sur les résultats de la colonisation officielle de 1871à 1895, Alger, imp, typographique, J.Torren, 1906, T1, P39.
(35)A.GIRAULT : Principes de colonisation et de législation coloniale (3eme partie) l'Algérie, 1927, p375.